

نحو معجم مدرسي في المصطلح النقدي والأدبي

الأستاذة : وهيبة قاضي

مدرسة مقياس الأدب العربي الحديث

قسم الإنجليزية - جامعة البليدة

الملخص:

حين يقف المصطلح الأدبي بين ناظري تلميذ في الشعبة العلمية من القسم النهائي، نلمح إما جحوظ عينيه أو إغلاقهما بسرعة ، لدهشة تكتنفه إزاء ما يجب أن يقوله أثناء مناقشة الدرس مع أستاذه ، و هروبا حتى من رؤية التشكيلة الحرفية للمصطلح ، فإذا تجاسر على العراك معه ، تجاذبته المفاهيم العامة ، أو شروح المعاجم العامة - على هنتها - ، و إلا شروح قد تبهم أكثر مما تفسر من قبل بعض الأساتذة !!

انطلاقا من اللا فهم الواقع فيه كثير من تلاميذ هذه الشعبة في قسم البكالوريا ، كان الاهتمام بهذا الموضوع ، الذي جاء بتمفصلاته التالية :

المحاور :

- مقدمة

- تحديد الإشكالية و بيان أهميتها

- النهج المتبع في طرح الموضوع و معالجة الإشكالية

- ضرورة معجم مدرسي في المصطلح النقدي و الأدبي

- خاتمة

مقدمة

تندرج المداخلة ضمن المحاولات الساعية إلى إثراء رفوف المكتبة المعجمية بالمعاجم المختصة، وفي ضبط أكثر لصفها ، فإنها تأخذ حيزها على رفّ المعاجم المدرسية مشرّبة إلى الارتفاع بسقف استيعاب التلاميذ في المرحلة الثانوية لمادة الأدب العربي ونصوصه ، وذلك باستجلاء إبهام بعض المصطلحات و المفاهيم النقدية الواردة في المنهاج الجديد.

إنّ المعجم اللغوي العام - على أهميته - و إن تكفل بشرح ما التبس معناه و استغلق مغزاه على فهم التلميذ ، قاصر على إعطاء المصطلح النقدي إشراقته الدلالية ، فإذا غير هذا الأخير وجهة النجدة نحو " المعجم المدرسي" كـ " منجد الطّلاب " مثلا ، لم يلق فيه ضالّته ، فأمثال هذه المعاجم تشكّل معجمات عامّة مختصرة ، وانتقائات لمداخل يظنّ بها حاجة المتّمدّس إليها دون غيرها أولا ، ولأنّها تتناسب مع مناه دراسية لبعض دول المشرق أو إحدى دول المغرب العربي حينا آخر

في ظلّ هذه الحال من ضياع التلميذ و الأستاذ - ربّما بدرجة أكبر - ، ومع تغيّر المنهاج الدراسي ، للمرحلة الثانوية ، تقف الحاجة الملحة بانتصاب إلى معجم مدرسي في المصطلح النقدي ، فالكتاب المقرّر يحتوي مصطلحات أقلّ ما يقال عنها أنّها غريبة على تلميذ لا يدرك منها إلّا معناها الأولي .

إنّ المكتبة الجزائرية زاخرة بالمعاجم المدرسية ، غير أنّها لم تستقبل منذ التغيرات الطارئة على المنهاج الدراسي في الآونة الأخيرة ، معجما مدرسياً يفكّ شفرات المصطلح النقدي المعتم على تلميذ القسم النهائي خاصّة ن معجم " المصطلحات الأدبيّة و اللغويّة " (لمجدي وهبه و كامل المهندس) مضى عليه زمن و ما فيه من المصطلحات الحداثيّة إلّا قليل ، و أمّا " المصطلح النقدي " لـ (محمّد عزّت جاد) فهو ينحو منحى الدراسة النظريّة أكثر منه معجما ، إلّا ما جاء في مسرده و ليس بمغن ، - هذا إن قصده الأستاذ أو التلميذ و استعانا به أصلا - ، فالأستاذ يشكو قلّة الوقت نظرا لحجم الساعات الملتزم بها ، والتلميذ يتأوّه من ثقل حمولة البرنامج بكلّ موادّه التعليميّة ، و لا معجم ينجذ هذا ولا ذاك و يختصر عليهما مسافة التّقيب المختصّ.

بناء على ما سبق ، و في ضوء التّغيّرات الدراسيّة ، ترفع هذه الأوراق ، بين أيدي الملتقى الدوليّ حول "التأليف المعجمي : الزّاهن والمأمول " كلمتها ، بأمل يحدها و كلّه الخروج بمشروع معجم مختصّ في المصطلح النقدي للمرحلة الثانوية.

2 - تحديد الإشكالية و بيان أهميتها

يأخذ الاهتمام بالمعجم المدرسي حيزه الثقافي بالدرجة الأولى في المساحة التعليمية ، و هو بذلك لا يتنازل عن انتماؤه إلى دائرة العمل المعجمي المختص أولاً و آخراً ، و يعتمد فيما يعتمد من خطوات إجرائية :

مراعاة المعلومات المقدمة (المعنى ، تركيب العبارات ، أم الاشتقاق ..) ، وأي فئة يستهدف (الطفل ما قبل التّمدرس ، أم ذا المستوى الابتدائي ، أم المتوسط أم الثانوي) ، يقوم بذلك مختصون في التأليف المعجمي من ناحية ، و أساتذة يمارسون التدريس و لديهم دراية بالتحولات الطّائرة على المناهج التعليمية ، من ناحية ثانية .(1)

إنّ تجربة متواضعة في التعليم الابتدائي للمتخلّة ، جعلت من فكرة الارتداد - إذا صحّ القول - بالتّلاميز إلى المعاجم حيناً بعد حين ، و ربطهم بها أمراً ممكناً تحببهم إليهم ، إضافة إلى ضرورته في الارتقاء بتكوينهم ، فما الذي يعوقنا إن نحن ربطنا التّلميز في المرحلة الثانويّة بالمعجم المختصّ؟ لماذا لا يكلف هذا الأخير بشرح المفردة من معاجم مختصة ، ترفع سقفه اللّغوي ، و تثري رصيده النّقدي والأدبي؟

هنا ، تعترضنا لافتة كبيرة ، أو يافطة على طريق تقويم الدّروس .. مكتوب عليها " أين المعجم المدرسيّ المختصّ في المصطلح النّقديّ ؟ " بل حتّى الطّلبة الجامعيّون لا يكادون يتحصّلون عليه إلّا بشقّ النّفس ، فإذا تلقّفته الأيدي لم تقو الأذهان على الأخذ بما فيه ، لتضارب ترجمات المصطلح حول المفهوم الواحد إن لم أنّ المفهوم ذاته غير مستقرّ؟

الواقع أنّ الموضوع لم يكن ليترك باب مداخله الأصل فيها العموم لولا حادثة طريفة ، مفادها أنّ تلميذة في القسم النّهائي ، شعبة العلوم الطّبيعيّة ، قصدتني و في يدها دفتر الأدب العربيّ ، ثمّ بادرتني بالسّؤال، ما الفرق بين الملحمة و الحرب ؟ فرددت بسؤال : كيف عرّفهما لكم الأستاذ ؟ قالت : في درس "ملحمة الجزائر " (لـ مفدي زكريّا) كتب لنا الأستاذ : " الملحمة = حرب " فما كان منّي إلّا أن رددت يدي إلى فمي ، وبعد أن استعدت قواي الذهنيّة ناولتها مع " المصطلحات العربيّة في اللّغة والأدب " و كانت ردّة فعلها متوقّعة - على الأقلّ من قبلي- إذ أغلقت عينيها ثمّ فتحتها ، لتغلق الكتاب و تتركه على الطاولة منطلقة ، وكأنّي بها هاربة منه ، أو بالأحرى ممّا فيه

حادثة أخرى ، ولكن في قاعة درس للغة العربية ، موجه إلى القسم الأدبي لتلاميذ البكالوريا ، حين حضرت حصّة لأستاذ يناقشهم حول علاقة النصّ المتناول بنصّ آخر (النصّ الغائب عند كريستيفا) فإذا به يغوص في بحر التناص ، و محور المناقشة في الأصل يتناول علاقة واحدة بين النصّين في بحر آخر، في حين كانت عيون التلاميذ تعلن علوهم في البرزخ الفاصل بين البحرين.

قد تكون مثل هذه الحوادث غيبضا من فيض ، فالمناهج الدراسيّة في تقلّب دائم ، و من الأساتذة شكّاؤون عدم القدرة على تبليغ المادّة النقدية لأنهم لغويّو التخصّص ، - وهذه كارثة أخرى أن يكون أستاذ الأدب العربيّ أعرج التكوين - ، ثم يأتي دور الكتاب المدرسيّ ، ليهطل على التلميذ بوابل من الأسئلة المتضمنة ملة مصطلحات نقدية ، لا شرح يجده لها سوى الشّح اللغويّ

أليس من الضروريّ ، وفي مقابل تقديم برنامج دراسيّ جديد لمادّة الأدب العربيّ ، تقديم دليل للمصطلحات النقدية الواردة فيه ؟ أليس مهماً أن يكون للتلميذ معجم نقديّ يحمله في محفظته إلى جانب المعاجم والقواميس ثنائية اللغة التي لا تبرح محفظته نظرا لعقدة الخوف من اللّغات الأجنبية ؟ و إن لم نوجه التلميذ في المرحلة الثانوية إلى المعاجم المختصّة ، فهل نتوقع أن نجده طالبا جامعيا ذا علاقة بالمعاجم أو معجميا ذات يوم ؟ ؟

3 - المنهج المتّبع في طرح الموضوع و معالجة الإشكالية

تأسيسا على ما سلف ذكره ، فإنّ الانطلاقة في الموضوع لا محالة من الكتاب المدرسيّ لطلبة القسم النهائيّ ، شعبة العلوم الطبيعيّة ، حيث يتمّ تسليط الضوء على بعض المصطلحات الأدبية الواردة فيه ، لنترك ما ندركه بعد ذلك .

و عليه ، فإنّ المنهج استقصائيّ و صفيّ ، ينحو إلى المعيارية والتّقييد ، ونبدأ مع :

1 - التناصّ : في موضوع " رصيف الأزهار لا يجيب " و في الجزئية المتعلقة باستثمار موارد النصّ ، نجد : " لقد تأثّرت الكاتبة الجزائرية (أحلام مستغانمي) بكتابات (مالك حدّاد) و وظّفت شخصية (خالد بن طبال) في روايتها " ذاكرة الجسد " عد إلى هذه الرواية ، و اشرح أسلوب التناصّ الوارد فيها .
ص: 90

أ - بداية نلاحظ أنّ الكتاب المدرسيّ يعرض نصّا ، ليعقد موازنة بينه و بين نصّ آخر خارج عنه - عن الكتاب المدرسيّ - ، و التلميذ في الشّعبة العلميّة لا يكفّ عن التّذمّر من ضغط برنامجه ، و لا يكاد يجد وقتا للمراجعة ، فهل سيقرا رواية قد لا تغنيه إلّا في قليل ؟

ب - التّناصّ : الّذي يفهمه أغلب التّلاميذ - و حتّى بعض الأساتذة - إنّما هو وجه الشّبه بين نصّين ، أمّا تناصّ (كريستيفا) و (باختين) ، فمن يعرفه من هؤلاء ، ن كان الأستاذ يشرحه شرحا غائما ، و عن أيّ (خالد بن طبّال) يبحث التّلاميذ ؟ الشّخصيّة الروائيّة في السّرد الدّكوريّ ، أم تلك الواردة في السّرد الأنثويّ ؟ ثمّ هل هم يدركون التّناصّ النّقديّ ؟ و الّذي هو " نصّ متولّد ... عن تفاعل خلاق ، بين منشئ النّصّ و ما سبقته من نصوص أخرى لتتنصوي التّناصيّة - كما يقول صلاح فضل - على عمليّات الامتصاص و التّحوّل الجذريّ أو الجزئيّ لعديد من النّصوص الممتدّة بالقبول أو الرّفص ، في نسيج النّصّ الأدبيّ المحدّد ". (2)

2 - الصّورة الشعريّة : حول قصيدة " الفراغ " لـ (أدونيس) و في جزئيّة " أناقش معطيات الدّرس " يرد ما يلي : " في النّصّ مزيج بين الصّورة الشعريّة و التّعبير المباشر ، بين و علّ ! - قصيدة (أدونيس) :

فراغ زمان بلادي فراغ

و تلك المقاهي ،

و تلك الملاهي ،

فراغ .

و هذا الّذي ذلّ في أرضه

و أنكرها و استكانا ،

ورصّع بالعار تاريخه

و لوّث أنهارها و ربانا ،

فراغ.

و ذاك الّذي ملّ من شعبه

و من حبه

و غمس باليس أعماقه

و أحداقه

فراغ.

هو لغز من ألغاز (أدونيس) يطرحه المنهج الدراسي بين أيدي التلاميذ ، وبين تمام الوضوح و تمام الغموض و الإبهام يلقي بعقل التلميذ ، داخل بوتقة مفهوم " الصورة الشعرية " في " فراغ " من ؟ (علي أحمد سعيد) ؟ ؟

تري ، هل سيجد التلميذ شرحا لمفهوم " الصورة الشعرية " في منجد اللغة والأعلام ؟ أم في " المنجد المدرسي " ؟ أم في شرح عائم من هذا و ذاك ؟ ممن لا يربط المصطلح بمفهومه الذي وضع له في الأصل ؟

هل يدرك التلميذ أن " الصورة الشعري " يأتي سؤالها على غرار " الأدبية " ، ما الذي يجعل عملا ما عملا أدبيا ؟ لتغدو الوسيلة التقنية التي افتقدتها إلى حد ما " الأدبية " ليستند المصطلح إلى نظام من الهيمنة على الرسالة الشعرية ، و تصبح المعرفة الاستقصائية للمبادئ العامة للشعر " (3)

و لأننا لن نجيب عن جميع أسئلة الكتاب المبنوثة بين صفحاته ،نمرّ بالذكر على بعض المصطلحات النقديّ من باب التحسيس بأهميّة الموضوع :

3- صنّف القيم الواردة في النصّ إلى حقلين دلاليّين ، و بيّن مجال كلّ حقل ، ص : 43

4 - أرصد نوع الحجاج المستعمل في النصّ (..) هل تجد فرقا بين الحجاج و السؤال ؟

وضّحه.

5- العنوان بنية دالة من بنيات النصّ ، فماذا فهمت من " الإنسان الكبير " ؟

6 - ما هي الدلالات الموقفية التي توحى بها هذه الصور ؟

7- الزمن الروائي قسمان : الزمن الذي جرت فيه الأحداث - يقصد به زمن الخطاب و لم يذكر هذا المصطلح - ، و زمن الحكاية ، أي الزمن الذي كتبت فيه ، حدّد على ضوء هذا الزمن الروائي ، استنادا إلى هذا المقطع .

8 - ماهي الخصائص الفنيّة المطلوبة للعمل القصصي و الروائي ؟

9- يتحقّق البرنامج السردّي عادة بالترتيب الآتي : المحقّر ، الكفاءة ، الإنجاز ، و الجزء .

10- مرّت هذه القصّة بالمراحل الآتية : وضع البداية ، و وضع التحوّل، و وضع الختام (فلاديمير بروب).

11- من الوظائف الثّانويّة للغة الوظيفة التأثيريّة ، (ياكبسون) التي تركّز على المتلقّي للتأثير فيه .

12- أولى عتبات هذا النصّ " المقطع الوصفيّ" من البداية إلى قول الكاتب " الخريف على رأس الونشريس صعب " ما دلالة هذه العتبة النصيّة على الأحداث التي ستأتي لاحقا؟ 13 - عدّة ما يختلط المتخيّل بالتاريخيّ في الروايات التاريخيّة خاصّة ، حاول قراءة رواية " الأمير " كاملة ، و إبراز أمثلة من المتخيّل في أحداثها .

كانت هذه زيارة قرائيّة سريعة ، أريد من خلالها تسليط الضوء على حجم الإشكاليّة ، في حدود ما ذكرنا من أمثلة ، و ما لم نذكره أكثر و أخطر ...

4 - ضرورة معجم مدرسيّ في المصطلح النقديّ و الأدبيّ

تأسيسا على الأمثلة التي وردت سالفا - وهي غيوض من فيض المصطلحات النقديّة التي ضمّها الكتاب المدرسيّ الجديد - تمثل الحاجة الماسّة إلى معجم مدرسيّ يلمّ شتات المصطلحات النقديّة، فيبسطها و يبسطها ، في غي إملال و لا إعلال .

و لذلك فإنّ المرحلة الإجرائيّة تتطلّب وفقا لما ذكر مراعاة ما يلي :

1 - تحديد فصيطة المصطلح : إن كان منتميا إلى الشعر أو النثر ، أو ما كان أدبيّا يقع في منطقة مشتركة بين لبفتين ، مثال ذلك :

أ - في الشعر : - الصورة الشعرية

- الإيقاع

- الأجناس الشعرية

- المدارس الشعرية

ب - في النثر : - البرنامج السردى

- القصة و أنواعها

- الرواية

- البناء الدرامى

ج - ما يقع بين الفئتين "المصطلح الأدبي والنقدى عموما" :

- التناص

- الخيال الفنى

- العتبة النصية

- دلالات الموقف

- الصورة الجمالية

- المتخيل و التاريخي

- الحقل الدلالي

- الحقل المعجمي

2 - كيفية شرح المداخل " المصطلحات " : لأن التلميز لا يزال في مرحلة الاستقبال الأولي للمصطلح النقدي و الأدبي ، لا يليق حشو مفاهيم المصطلحات بشروح تأسيسية ، خاصة و أن البساطة تعدّ " أحد الاختيارات الأساسية في المجال البيداغوجي ، بالإضافة إلى ارتباطها الوثيق بالوظيفة المعجماتية ، التي ينبغي أخذها بعين الاعتبار ، كركن أساسي في الصناعة المعجمية ، المحددة " (4) ، وكلما كان الشرح سهلا كان الإقبال على المعجم أكثر من قبل التلاميذ .

3 - ذكر المصطلح و ما يقابله باللغة الأجنبية : و هي ضرورة لا مناص منها ، إذ جميع المصطلحات النّقدية لاذ الحديثة نشأت في تربة غير عربية ، و ذكر الترجمة العربية دون الأصل لا يغني ، على الأقلّ لإثراء الرّصيد اللّغويّ لدى التّلاميذ.

4 - ضبط المصطلح بالشّكل : لأنّ اتلعرية في غنية عن الكتابة الصّوتية العالمية لامتيازها بالشّكل و الحركات ، فإنّ الضّبط الصّوتي لا بدّ منه ، لا سيّما في التفريق بين بعض الأوزان الصّرفية المعتمدة على الحركات ، نحو : " المتخيّل - بالفتحة على الياء - لتمييز اسم الفاعل من اسم المفعول ، و الثّاني هو المقصود.

5 - تضمين المعجم نصوصا قصيرة ، تتجلّى فيها إحدى الظّواهر الأدبية و تعالج من خلالها بعض المصطلحات النّقدية " شعرا أو نثرا "

6 - يضاف إلى ذلك احترام جميع الخطوات الإجرائية في إنشاء المعاجم (5) :

- تقدير تكلفته من جهة ، و مراعاة القدرة الشرائية للمتلقّي - التّلميذ - ، جمع المادّة وتحديد المصادر .

- اختيار الوحدات المعجمية

- تأليف المداخل

- ترتيب المداخل

- المقدّمة و الملاحق.

خاتمة

كخلاصة لا نقول إلا ما قال (محمد رشاد الحمزاوي) " فإنّ هذا المعجم و أمثاله من المعاجم المدرسية المخصصة للنّاشئة يعبر عن لإرادة مستميتة في سبيل إرساء ذهنيّة جديدة غايتها وضع معجم يكون مؤهّلا (6)" لاستيعاب فكر التّلميذ الجزائريّ في المرحلة الثّانويّة بما يتوافق و المنهاج الدّراسيّ الحاليّ .

إذن ، بين يدي وضع دراسيّ هذه حاله ، و أثناء الحديث عن حلول لمشكلة كهذه ، تجدر الإشارة باختصار إلى أقانيم ثلاث تشترك في صناعة "الفهم النّقديّ" - إن صحّ القول - لدى تلاميذنا ، من أجل سدّ الثّغرات المفهوميّة ، للمصطلحات النّقديّة في الكتاب المدرسيّ للأدب العربيّ :

- * فالأستاذ وهو القناة الأولى في خيار أمامه سوى العودة إلى الدّراسات الحديثة و المعاصرة فيما يتعلّق بالنّقْد و الأدب ، و قبل أن يوجّه التّلاميذ إلى البحث عنها ، فهو مسؤول عن تبليغها بأمانة ، بعد القراءة المختصّ ، و ما أكثرها في الجامعات أو على بعض المواقع الإلكترونيّة الموثوقة .

- * و أمّا التّلميذ و هو ثاني قناة في هذه الحلقة التّواصلية ، فمجبّر على بدء الحياة البحثيّة ، إن رام النّجاح بتميّز - و ليس مجرد التّفوّق - و إن كان العذر واردا نظرا لكثافة الدّروس المبرمجة له .

- * القناة الثّالثة : تتّصل بالكتاب المدرسيّ ذاته ، و الأخرى بالهيئة المشرفة على إخراجه ، إذ الأصل أن يتبع في نهايته بملحق أو مسرد للمصطلحات الأدبيّة و النّقديّة التي ظهرت بين ثناياه ، تسهيلا لمهمّة البحث منها ، و العودة إلى الكتب المعنيّة بها.

غير أنّ الحلّ الأنجع - ما دام المفروض مرفوضا - هو الاتّجاه إلى إنجاز "معجم مدرسيّ في المصطلح النّقديّ" ، و بذلك تعدم الحجة على التّلميذ و الأستاذ معا ، و يستكمل النّقص الذي يشكوه الكتاب المدرسيّ للأدب العربيّ للمرحلة الثّانويّة ؛ و هنا يرفع الصّوت عاليا بدعوة دور التّشاور إلى المساهمة في إعداد هذى الأخير ، بعد إسناد أمره إلى مختصّين ، من أساتذة في الميدان التّربويّ والتّعليميّ ، و دكاترة جامعيّين ، و مخبر اللّغة العربيّة و الصوتيّات - منظمّ ملتقانا الكريم هذا - إلى الالتفاف حول هذا العمل ، بجّد و منهجيّة متكاملين .

و من هذا المنبر الموقّر ، و في إطار هذا الملتقى الميمون ، تشرّب الأمانيّ إلى توصية كريمة في بيانه الختاميّ تلحّ على ضرورة إخراج هذا المعجم و أن يرفع بها إلى الجهات المختصة ، في وزارة

التربىة و التعلىم ، لتبئى هذا الإفراز العلمى الذى تستدعىه بالباح التغيرات الطارئة على المنهاج الدراسى ، للاتقاء بالسقف المعرفى للتلمىذ من ناحية ، و السعى نحو معاجم مدرسى مواكبة لمنظومتنا التربوىة ، غير مستفاعة من شرق و لا غرب من ناحية أخرى ، كما أن مثل هذا النوع من المعاجم يضيف رقما جديدا لالى المكتبة المختصة الجزائرىة .

و فى الأخير ، لا يسعنا إلا أن نهئى مخر اللغة العربىة و المصونيات الحديثة ، ممثلا فى القائمين علىه ، و فى مقدمتهم السىّد المدير " أ/ د: عمّار ساسى" بهذه اللّمة العلمىة ، فى الملتقى الدّولى لـ (لتألىف المعجمى الزّاهن و المأمول) متمنّين له تحقيق ما عقد لأجله

" و قل اعملوا فسىرى الله َ عملكم و رسوله و المؤمنون "

الهوامش:

- 1- أحمد مختار عمر : صناعة المعجم الحديث
- 2- محمّد عزّت جاد : المصطلح النّقدى ، ص: 145
- 3- المرجع ذاته : ص: 482
- 4- عبد الغنىّ أبو العزم : المعجم المدرسى - مناهجه و أسسه و توجّهاته- ، ص: 208
- * ينظر : أحمد مختار عمر : صناعة المعجم الحديث ، ص: 65 إلى 112
- 5- محمّد رشاد الحمزاوى : النظريّات المعجمىة و سبلها إلى استيعاب الخطاب العربىّ ، مؤسّسات بن عبد الله للنشر و التّوزيع ، (د-ط) ، (د- سنة) ، تونس ، ص: 191